

أنا عاشقة للأدب قبل أن أكون دارسة أكاديمية له

## د. العالية : المرأة المغربية قطعت أشواطا كبيرة في سبيل تحقيق الكثير من المكتسبات

حاورتها **سناء الحافي**

شاعرة و أكاديمية مغربية ، رسالتها خدمة الأدب النسائي بكل فنونه ...و صاحبة فلسفة عميقة في الحياة ندل على قوة شخصيتها و جرأة طرحها. هي الدكتورة الشاعرة العالية ماء العيّن، عضو اتحاد كتاب المغرب ،عضو اتحاد العمل النسائي و عضو جمعية أصدقاء الخزانة الوطنية

■ سيدتي ....نبتدئ حوارنا معك ببعض السطور الموجزة عن العالية ماء العيّن الانسانية والمبدعة؟

سؤال صعب لانه يحيلني على تحديد موقع"الانا" في علاقة مع الآخر إنسانيا واجتماعيا و إبداعيا. ولدت في أسرة محافظة دينيا واجتماعيا ولا حدود لانفتاحها علميا وثقافيا. فالقراءة كانت عالمنا المشرع على الحياة وكان والذي يردد على مسامعنا في تحريض دائم على القراءة "العلم بكل شيء خير من جهله". وقد كان يرفض أن نذهب في رحلات مع الاصدقاء حتى و لو كانت مدرسية و لكنه دائما مستعد لإرسالنا لأي مكان حتى و لو كان خارج البلد للدراسة...

أدين للقراءة انها اغتت عالمي و حلت عقدة تفكيري ولساني وقيل كل شيء أدين لها إنسانيا بانها فتحت لي عالم الآخر الذي قد لا يشبهني ولكنه يستقر في داخلي الرغبة في معرفته و لهذا كانت طفولتي مليئة بالآخرين أسرتي اصدقائي..الكتاب الذين احب القراءة لهم.. أبطال الروايات التي أعشقها..

■ نلاحظ أن المغرب يضع المرأة في المكان الذي تلمح إليه كل سيدة عربية ....برايك ككاتبة مغربية تنبني الأدب و الثقافة ، ما هي الأسباب التي تدفعك على المرأة الانطلاق في عالم السياسة بدون ضغوط؟ و أين أتت من السياسة؟

لن يكون ادعاء ان نقول ان المرأة المغربية قطعت أشواطا كبيرة في سبيل تحقيق الكثير من المكتسبات اجتماعيا وحقوقيا وسياسيا ولا نستغرب ذلك مقارنة مع التاريخ النضالي الطويل الذي خاضته والذي كل بما وصلت إليه بتوافر جهود مجتمعية وإرادة سياسية. ورغم ان المرأة اقتحمت المجال السياسي المغربي مبكرا مقارنة مع مثيلاتها في العالم العربي إلا ان نصيبها ما زال دون المستوى المأمول و في رأيي المتواضع أن الامر يتعلق بالبنخ السياسي العام والذي ما زال يعاني من العقليات التام تتاجر بالديموقراطية . فإذا اخذنا الانتخابات مثلا سنجد ان المرأة -من حسن الخط- غالبا ما لا تتساق وراء الصفقات والتحركات المشبوهة التي يقوم بها المرشحون. قد يعتبر البعض رأيي هذا غير موضوعي ولكنني اعتقد أن النساء أكثر ميلا للحوار والممارسة الديموقراطية. أما على مستوى المسؤوليات السياسية الأخرى فأرى انها تحتاج إلى قرارات سياسية شجاعة. بالنسبة لي أعتبر أن المجال الثقافي يحقق لي حرية التفكير والتفقل والحوار وهي أشياء يصعب ان نحافظ عليها في المجال السياسي. احترم أحزاب معينة ولي فيها صداقات وعلاقات و وجهت لي دعوات احترم أصحابها. ولكننا لم نستطع تشجيعي بما يكفي للولوج لعالم السياسة...

■ انت حاصلة على الماجستير في الادب العربي "الفصح" ولكنك غيرت اتجاه البحث في الدكتوراه إلى الثقافة الشعبية و الادب على وجه الخصوص . كيف حدث معك ذلك؟

انا عاشقة للأدب قبل ان أكون دارسة اكاديمية له وهذا يجعل اهتمامي مفتوحا على عوالم متنوعة داخل ثقافتنا الأدبية العربية عموما والمغربية على وجه الخصوص. كل ما في الأمر أنني قررت ان اغير دفة البحث في اتجاه آخر لا اظنه بعيدا. ولكنه وجه آخر لثقافتنا حتمت عليه الظروف ان يظل بابا خلفيا، حتى تم الالتفات إليه، على اعتبار ان الثقافة الشعبية ليست سوى الوجه الآخر لثقافة الشعوب ولكنه أكثر ارتباطا بالمحلية في تمثلاتها اللغوية والفكرية والأدبية...وم من حسن حظنا أننا تجاوزنا تلك النظرة الايديولوجية التي ما فتئت تنظر إلى الثقافة الشعبية على أساس أنها ثقافة الهامش والعامّة الجاهلة مقابل الثقافة الرسمية والعالمية. والتي يرجع الفضل فيها لتلك الدراسات الهامة التي وصلتنا من الآخر حول الآداب الشعبية كدراسات فلايمير بروب حول الحكايات الشعبية ... وبما أنني

و ساهمت في العديد من الأنشطة الوطنية والدولية بخصوص قضية الطفل والمرأة من خلال المؤتمرات، أو الندوات التي تقام بهذا الشأن وذلك بالمشاركة الفعلية أو إغناء النقاش ، حول القضايا المطروحة، كما شاركت ضمن الوفد الرسمي المرافق للأميرة مريم للمشاركة في الدورة الاستثنائية الخاصة بالطفل في الأمم المتحدة بنيويورك ماي 2002، و كان من أبرز نتائجها الفكري "الإبداع النسائي في الأدب الحساني : التبراع نموذجاً"...و على مائدة الحوار لهذا العدد كان لنا مع الشاعرة د.العالية ماء العيّن

### ■ الشعر النسائي يتميز بنوع من الوضوح

### والمباشرة في التعبير عن العاطفة

### ■ أكتب بمزاجية تفقدني الكثير من المناسبات

### لنشر أعمالي او دراساتي

### ■ هناك تواطؤ بيني وبين اللغة أذاب القيود بدل

### ان يكسرها

ابنة الصحراء /البادية و انتمي إلى الثقافة الحسانية الغنية والبديعة فقد وجدتني محاطة بالكثير من الأسئلة و الأبواب المشرعة للبحث فكان القرار الحاسم والذي لا يخلو من مغامرة علمية وصعوبة في البحث والتنقيب وسط كم هائل من التراكمات التي تحذب الاهتمام ونوقظ الحماس...والتي ظلت حبيسة الشفاء والذاكرة...

■ الأدب الحساني جزء هام من الادب المغربي معروف بغناه وثرأه مضامينه و أساليبه حديثنا عن اختيارك لأدب المرأة الحسانية "التبراع" والذي كان موضوع اطروحتك لنيل الدكتوراه؟

الحديث عن الادب الحساني فيه إحالة على "اللهجة"الحسانية كلفة تواصل وثقافة لسائكة تعيش في فضاء جغرافي كبير وممتد من الجنوب المغربي إلى حدود نهر السينيغال أي أننا نتشارك فيها مع القطر الموريتاني الشقيق...

هو أدب ثري و زاخر في كل مجالات الإبداع شعرا كان ام نثرا ..و لكنني شخصيا اهتمت بجانب خاص منه وهو "التبراع" أو الشعر الخاص بالمرأة وهو اهتمام بدأ بكتابات و مشاركات في ندوات متخصصة وبلغ مداه حينما قررت ان يكون موضوع اطروحة الدكتوراه...وهي تجربة إبداعية رائعة تستحق الاهتمام تماما كما نجد في شعر نساء البشتون أو ما يعرف باللندي. والحقيقة أن المتأمل لهذا الإبداع المتنوع سيقف مشدوها..أمام العديد من الملاحظات من أهمها مسألة الحكم الهائل "العصي على الحصر" وهي مسألة

على المستوى الأدبي والعلمي

أوجهها إلى الباحثين والمهتمين بالأدب العربي عموما والمغربي بشكل خاص ومضمونها ضرورة تعميق البحث في الجوانب الغائبة عنا في أدبنا وعدم الوقوع في مصيدة التكرار التي تجعل مواضيع و اسماء وربما بلدان معينة أكثر حظا من غيرها. ثم إن الادب العربي لا يكتمل إلا بكل اطرافه و أظن أن الادب المغربي عموما لا زال يعاني من تغييبه في المشرق و يقتصر التبادل والتعريف على النخب و الصالونات الثقافية والمعارض المهمة بالكتاب...

■ شاركت في العديد من الفعاليات والمقتنيات الوطنية والدولية ..ماذا أضافت لك سواء على المستوى الشخصي أو الثقافي؟

بالتأكيد انها اغتت حياتي الشخصية بمجموعة هامة ورائعة من الأصدقاء و الأماكن في مناطق متعددة. وهذا غنى إنساني لا يقدر بثمن أما على المستوى الثقافي فإن لك لقاء أعتبره درسا جديدا ومنمعا متجددا للمزيد من الدرس والبحث كما انه يروي عندي متعة الحوار وتعدد الآراء والخلفيات.

و اذكر هنا لقاء ثقافيا في تونس حول الثقافة الشعبية المغربية و تتميز بمشاركة العديد من الباحثين من امريكا و اوروبا وما اثارتي هو تمكنهم من اللغة العربية التي درسوها بل إن بعضهم كان يتقن الأمازيغية واللهجات المغربية الأخرى. هذا اللقاء وشميني وطرح على سؤالا هاما : لماذا يبحث هذا "الآخر" في هويتي ؟ وهل نعرف عن بعضنا البعض كعرب ما يعرفونه عنا؟ و ساعدو إلى ما قلته جوابا على السؤال السابق يجب أن يتعمق التواصل الثقافي بين بلداننا العربية لأن الفراغ يولد تربة خصبة تنبت عليها الأحكام الجاهزة المغلوطة والتي تعمق الفرقة والعصبية وتجعل الشعوب تنفقد روحها المتلاحمة التي تميزها عن السياسيين والأنظمة...

■ من زاوية محايدة كيف ترين المشهد الإعلامي المغربي والعربي عامة؟ هل لا زال إعلامنا لا يعرف ما يريد؟

التبراع شعر نسائي غني ويستحق الكثير من الاهتمام وأنا معززة بالعمل الذي قمت به والذي سينشر قريبا و قد سعيت من خلاله إلى التعريف بالتبراع ودراسته فنيا. ودلالاته الاجتماعية والنفسية كما أنني قمت بجمع بعضه في مدونته مرفقة بالدراسة. من البديهي أن يكون للكاتب رسالة يوجهها من خلال أبحاثه. إلى من توجه الدكتوراة العالية ماءالعين رسالتها الأدبية؟

على المستوى الأدبي والعلمي

على المستوى الأدبي والعلمي

في إحدى حواراتك قلت : انا مهووسة بالإنسان فينا ..صراحة استوقفتني هذه العبارة بكل أسقاطاتها و دلالاتها العميقة..هل تفسرين فلسفة هذا الهوس؟

قلت جوابا على سؤال سابق إنني مدينة للقراءة بانها فتحت لي باب التفاعل مع الآخر ومن حسن حظي أنني تعرفت على شرائح كثيرة من المجتمع عن طريق القراءة قبل المعاشية. و لهذا لم تكن لدي احكام مسبقة سلبية ،خصوصا عن المنبوذين بحكم التقاليد الاجتماعية ورغم انتمائي إلى وسط محافظ . فقد شعرت دائما بأنني مشدودة إلى الروابط الإنسانية مهما بلغ التباعد بين عالمينا. فمن حسن حظي.. أنني فهمت مبكرا، أننا نتاج حيوات أخرى، بمحولاتها المختلفة ولا أحد منا يمتلك الحقيقة و..وتحمل اننا محكومون بالتعاش..وتتحمل مسؤولية واحدة..فهل نحن على قدرها؟ وهل يكفي الشعور بذلك ليتحول إلى فعل حقيقي بناء؟ لا ادري أحيانا أشعر أنني عاجزة عن فك رموز هذه العلاقات الإنسانية الشائكة القاسية التي تقربنا حينا وتبعدنا معظم الأحيان...

■ قرأت لك في مكان ما قولك عن القيود تزعجك و لكك لا تستطيعين التحليق بعيدا عنها... برايك هل السلبية أحيانا تمنحنا لذة الإبداع أكثر كسءاء؟

كنت اتحدث عن مرحلة مبكرة في حياتي تمنيت فيها التحليق عاليا وبعيدا



الشاعرة العالية

ولكن لم تصل إلى درجة كسر القيود وقد كنت واعية أنني أمام اختبار و لكنني لم أغامر. ومع ذلك أظن أن الكتابة ساعدتني كثيرا في إعطاء الحياة لتلك "الانا" المتوثنة والمجنونة ربما...

هل هناك تواطؤ بيني وبين اللغة أذاب القيود بدل ان يكسرها...قد يبدو الامر سلبيا للبعض ولكنني مؤمنة أن الصق مع النفس أكثر قدرة على بث الحرارة في التجربة الإبداعية وعوالمها الواقعية و المتخلية..

■ الوجه تتكرر في المشهد الثقافي المغربي ..هل الادب أصبح حكرًا على أصحاب النفوذ وتوارث النسب في الإعلام المرئي ؟

سؤال هام جدا و في محله فاحيانا نتساءل ألا توجد أسماء أخرى؟ بالتأكيد الوضع الثقافي في بلادنا غني وزاخر بعطاءات في الشعر والرواية والتقد.. وكل الفنون والمجالات الأخرى . ولكن للأسف ليست هناك ترجمة حقيقة على أرض الواقع لهذا الغنى والتنوع.. ربما ساهمت الفضاءات الافتراضية في التعريف بالكثير من المبدعين ولكن لا شيء يضاهي قيمة الإعلام الرسمي و المؤسسات الصحفية والثقافية والتي تمثل منابر ذات قوة وحضور في المغرب و العالم العربي. و قد طرحنا هذا الموضوع وبشدة في المؤتمر الأخير لاتحاد كتاب المغرب ..وطالبنا بضرورة توسيع قاعدة إشراك المثقفين المغربية في اللقاءات والندوات داخل و خارج المغرب.

■ باعتقادك هل الإعلام المغربي و العربي أنصف العالية ماء العيّن ..أم جاء هذا النجاح بعد جهد و شقاء ؟

لاكون صادقة معك كما انا مع نفسي أعتبر أنني اتحمل مسؤولية اكبر لأنني اكتب بمزاجية تفقدني الكثير من المناسبات لنشر أعمالي أو دراساتي أو حتى الحوارات أحيانا. ولهذا يعاتبني الكثير من أصدقائي على هذا الكسل فأطروحتي حول الأدب النسائي الحساني والتي نوقشت منذ أكثر من ثلاث سنوات لم تنشر بعد وهذا تقصير مني فقد كنت من الاوائل الذين اهتموا بهذا الموضوع أكاديميا و اعرف ان الساحة الثقافية تحتاج مثل هذه الدراسات...و بعيدا عن تخصصي الاكاديمي فانا متواجدة من خلال دراساتي ومتابعتي للمختبر من الإبداعات المغربية والعربية ، الروائية منها على وجه الخصوص ..

■ الدكتورة العالية ماء العيّن....في ختام حوارنا ..كلمة توجيها لقرائنا

شكرا لك شاعرتنا الجميلة سناء الحافي على هذه الجلسة الحميمة الممتعة..و التي اتاحت لي فرصة الإطلالة على القارئ الكريم والذي أتمنى ان يكون قد استمتع بهذا الحوار و أضاف له شيئا جديدا عن مغرب العالم العربي.